

## أضواء البيان

@ 456 الشُّبَّانِ وَالصَّيْفِ فَلَا يَدْعُونَ رَّبًّا هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي  
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ { فإن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن ،  
ورحلة الصيف كانت إلى الشام ، وكانت تأتيمهم من كلتا الرحلتين أموال وأرزاق . ولذا أتبع  
الرحلتين بامتنانه عليهم : بأن أطعمهم من جوعٍ . وقوله في دعوة إبراهيم : { وَإِذْ  
قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ  
الثَّمَرَاتِ } ، وقوله : { فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ  
وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ } . .  
وقوله : { فَكَفَّرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ } ذكر نظيره عن أهل مكة في آيات كثيرة .  
كقوله : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا  
وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ } . .  
وقد قدمنا طرفاً من ذلك في الكلام على قوله تعالى { يَعْزِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ  
ثُمَّ يَنْكِرُونَهَا } . .  
وقوله : { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا  
يَصْنَعُونَ } وقع نظيره قطعاً لأهل مكة . لما لجوا في الكفر والعناد ، ودعا عليهم رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ( اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنين  
يوسف ) فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء ، حتى أكلوا الجيف والعلهز ( وهو وبر البعير يخلط  
بدمه إذا نحره ) ، وأصابتهم الخوف الشديد بعد الأمن . وذلك الخوف من جيوش رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، وغزواته وبعوثه وسراياه . وهذا الجوع والخوف أشار لهما القرآن على بعض  
التفسيرات . فقد فسّر ابن مسعود آية ( الدخان ) بما يدل على ذلك . .  
قال البخاري في صحيحه : باب { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ  
مُّبِينٍ } فارتقب : فانتظر . حدثنا عبدان ، عن أبي حمزة ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن  
مسروق ، عن عبد الله قال : مضى خمس : الدخان ، والروم ، والقمر ، والبطشة ، والزام . {  
يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } حدثنا يحيى ، حدثنا أبو معاوية . عن الأعمش  
، عن مسلم ، عن مسروق قال : قال عبد الله : ( إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على  
النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف . فأصابتهم قحط وجهد ، حتى أكلوا  
العظام . فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد .  
فأنزل الله تعالى { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى

